الرموز المستخدمة في نص هذا التحقيق أو على هوامشه:

م: إشارة إلى النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة في مكتبة تشستر بيتي (دبلن) برقم 3168.

ط: يعني طبعة النص الذي حققه محمد كمال جعفر الموجودة في كتابه *من قضايا الفكر الإسلامي*، القاهرة، مكتبة دار العلوم، 1978، ص. 346-360.

ك: يشير إلى تحقيق النص الموجود في مقالة لكنّي. انظر:
J. Kenny, "Ibn Masarra: His *Risālat al-I'tibār*", *Orita* 34 (2002), 1-26.

+ : يدل على زيادة في النص (إما في الأصل المخطوط إما في الطبعة).
- : يدل على نقصان أو حذف في النص.
/ : بمعنى "و" (مثلا "م / ط" يعني "م وط").
[ ] : تدل على زيادة لنا في تحقيقنا هذا للتوضيح.
[﴿ : س] : دلالة على رقم آية ما في سورة ما.
( ) : نص آية من آيات القرآن.

[175] بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى[1] الله على سيدنا محمد نبيه

[هذه] رسالة الاعتبار

للفقيه أبي عبد الله الجبلي -رضي الله عنه وأرضاه-[2]

سلام عليك ورحمة الله فإني أحمد إليك الله الذي (لا إله إلا هو)[3] وأصلي علي نبيه وأسأله السداد[4] في جميع الأمور.

[1] ط: صلى (- و).
[2] ك: + لابن مسرة. ك: - بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه رسالة الاعتبار للفقيه أبي عبد الله الجبلي رضي الله عنه وأرضاه.
[3] انظر مثلا [4: 78].
[4] ك: الصداد.

ذكرت -رحمك الله- أنك قرأت في بعض الكتب أنه لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى الأعلى إلا مثل ما دلّت عليه الأنبياء من الأعلى إلى الأسفل وتطلعت إلى تحقيق ذلك وتمثيله[5].

اعلم -وفقنا الله وإياك- أن أول ذلك أن الله -عز وجل- إنما جعل لعباده العقول التي هي نور من نوره ليبصروا بها أمره ويعرفوا بها قدره فشهدوا لله[6] بما شهد به لنفسه وشهدت له به ملائكته وأولو العلم من خلقه.

ثم جعل -عز وجل- كل ما[7] خلق من سمائه وأرضه آيات دالات عليه معربة بربوبيته وصفاته الحسنى. فالعالم كله كتاب حروفه كلامه يقرأه[8] المستبصرون بعيان الفكرة الصادقة على حسب أبصارهم وسعة اعتبارهم وأبصار قلوبهم تُقلّب في الأعاجيب[9] [176] الظاهرة المكنونة المكشوفة لمن رأى[10] المحجوبة عمن تلهّى و(تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا)[11] فهي مبلغ علمه ومجال فكرته ومنتهى همته فلا يجاوز بصره ما لحظه بعينيه[12]. قال الله -عز وجال-: (أو لم ينظروا في ملكوت السموات[13] والأرض وما خلق الله[14] من شيء)[15] فتبين لك أن كل ما خلق من شيء موضوع للفكرة ومطلب للدلالة.

وقال في أوليائه المستبصرين الذين أثنى عليهم: (ويتفكرون في خلق السموات[16] والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا)[17].

[5] ك (تكرار): + ذكرت -رحمك الله- أنك قرأت في بعض الكتب أنه لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى الأعلى إلا مثل ما دلّت عليه الأنبياء من الأعلى إلى الأسفل وتطلعت إلى تحقيق ذلك وتمثيله.

[6] ك: الله.

[7] م: كلما.

[8] م: يقرأوه.

[9] ك: - أبصارهم وسعة اعتبارهم وأبصار قلوبهم تقلّب في الأعاجيب.

[10] م: رات.

[11] [53: 29].

[12] ك: بعينه.

[13] م: السماء.

[14] ك: - الله.

[15] [7: 185].

[16] م: + السموات.

أجل والله لقد أطلعتهم الفكرة على البصيرة فشهدت لهم السماء والأرض بما نبّأت به[18] النبوة أنه ما خلق هذا العالم المنضد المحكم الموزون باطلا وأنه للجزاء خلقه فاستعاذوا -مع إقرارهم- من النار فقالوا: (سبحانك فقنا عذاب النار)[19].

ونبه -عز وجل- وحضّ وكرر ورغب في كتابه على التفكر[20] والتذكر والتبصر فوصل به وفصل وأبدأ[21] به وأعاد بحسب[22] موقع ذلك من منافع العباد وإحيائه لقلوبهم[23].

وبعث الأنبياء -صلاة الله عليهم وبركاته- ينبئون الناس ويبينون لهم الأمور الباطنة ويستشهدون عليها[24] بالآيات الظاهرة ليبلغ الناس إلى [177] اليقين الذي عليه يثابون وبه يُطلبون وعنه يُسألون. قال: (يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون)[25]. وقال: (حتى إذا جاءوا قال أ كذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أمّاذا[26] كنتم تعملون)[27].

فنبأت الرسل عن أمر الله تعالى وافتتحت بالأعظم فالأعظم والأول فالأول في الصفة. فدلت على الله -عز وجهه- وعلى صفاته الحسنى وكيف بدأ خلقه وأنشأه واستوى على عرشه وكرسي ملكوته[28] وسمواته وأرضه إلى آخر ذلك. وأمرنا بالاعتبار لذلك وأشار[29] إلى البدء[30] فيه من آيات الأرض كقوله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

[17] [3: 191].
[18] ك: - به.
[19] [3: 191].
[20] ك: التفكير.
[21] م / ط: وأبدى (وهذا أيضا صحيح).
[22] م: يحسب. ط: حسب.
[23] لقد تكرر كل النص في"ط" من البداية إلى هذه النقطة.
[24] ك: عليهم.
[25] [13: 2].
[26] ك / ط: أم ماذا.
[27] [27: 84].
[28] م: مُلوكته.
[29] م: وأشارت.
[30] م: البدؤ. ط: البدو. ك: البدو (= بدأ).

الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)[31] وقوله تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)[32] وقوله: (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)[33]. وقال: (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[34].

فالعالم وخلائقه كلها وآياته دَرَج يتصعد فيها المعتبرون إلى ما في العُلى[35] من آيات الله [178] الكبرى والمترقي إنما يترقى من الأسفل إلى الأعلى فهم يترقون بتصعد العقول من مقامهم سفلاً إلى ما انتهت إليه من صفات الأنبياء من الآيات العُلى[36]. فإذا فكروا أبصروا وإذا أبصروا وجدوا الحق[37] واحدا على ما حكت الرسل -عليهم السلام[38]- وعلى ما وصفوا به الحق عن الله وأنه متفق متصادق لا اختلاف فيه من حيث ما أنيته فهو هو.

فوجدوا الاعتبار يشهد للنبإ فيصدقه ووجدوا النبأ موافقا للاعتبار لا يخالفه فتعاضد البرهان وتجلّى اليقين وأفضت القلوب إلى حقائق الإيمان.

فبهذه الطريقة التي دل عليها الكتاب وأرشدت[39] إليها الرسل يُكتسَب النور الذي لا يُطفأ أبدا وتُستفاد البصائر الصادقة التي بها اقترب المتقربون من ربهم ووصلوا[40] في الدنيا والآخرة إلى المقام المحمود عن غيرهم وعاينوا الغيب بأبصار قلوبهم وعلموا علم الكتاب فشهدت[41] قلوبهم له أنه الحق. قال الله تعالى: (أفمن يعلم أنما[42] أنزل إليك من ربك[43] الحق كمن هو أعمى إنما

[31] [2: 21-22].
[32] [4: 1].
[33] [6: 95].
[34] [51: 20-21].
[35] ط: العلا. ك: أعلا.
[36] م: العلي. ط: العلا. ك: أعلا.
[37] ك: + واحدا.
[38] م: السلم. ك: الصلام.
[39] م: وارشَدَتْهُ.
[40] ك: وصلوا (- و).
[41] ك: وشهدت.
[42] ك: إنما.

يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون[44] الميثاق)[45] إلى قوله: (ويخافون سوء الحساب)[46]. [179]

ثم ختم السورة وعقد الكلام كله إلى قوله: (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[47].

ولا يصل بشر إلى معرفة علم الكتاب حتى يقرن الخبر بالاعتبار ويحقق السماع بالاستبصار. جعلنا الله وإياكم من الموقنين المستبصرين.

فأما تمثيل هذا الاستدلال من أسفل العالم إلى أعلاه فله أمثلة كثيرة ووجوه شتى كلها تفضي إلى مخرج واحد.

فمن ذلك أن ينظر الناظر إلى إحدى الثلاث: الحيوان أو النبات أو[48] الموات[49]. فنظر إلى النبات فرأى عودا مواتا لا حياة به ونظر إلى حركة الغذاء فيه مندفعة إلى أعلاه[50] من أسفله مفصلة على أقسام قد غُذيت عليها فلا تعدوها من ضروب مختلفة عود وقشر وورقة ونوارة وثمرة ونواة ونظر إلى ذلك الغذاء فإذا هو صاعد علواً وأخذ[51] عرضا فقال:"إن طبيعة الماء تتحرك سفلا فليست هذه الحركة المتصعدة عن طبيعة فوجب أن[52] ثم شيئاً[53] آخر زال الماء به[54] عن طبيعته التي هي ضده فلم نجد[55] شيئا يتحرك بطبعه علواً إلا النار فسُلِّم أن ثم ناراً[56] رفعت الماء على ضد حركة الماء".

ونظر إلى تقسيم ذلك [180] الغذاء وتعديله عن مجاريه ومستقرّه فعلم أن

[43] ط / ك: + هو.
[44] ك: وينفضون.
[45] [13: 19-20].
[46] [13: 21].
[47] [13: 43].
[48] ك: أن.
[49] ط: الموت.
[50] ط / ك: أعلا.
[51] م: واخذ. ك: وآخذ.
[52] ط / ك: - أن.
[53] ط / ك: شيء.
[54] ط / ك: أزال الماء.
[55] ك: تجد.
[56] م: فسلم ان الما نارا. ط: فسلم أن الماء نار. ك: فسلم أن [الماء] ناراً.

ليس في طبيعة الماء ولا النار التقسيم ولا التفصيل. فنظر إلى ذلك الغذاء الذي هو ماء واحد في أرض واحدة وهواء واحد وهو ينفصل إلى تلك الضروب المختلفة من[57] عود صليب وغصن رطيب وورقة رخوة[58] وثمرة لينة ونواة[59] لطيفة وقشر ولُباب[60] ونوارة[61] مختلفة الألوان والمجسّات والطعوم والأراييح[62]: (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل)[63].

فعُلم أن الماء والنار ليس[64] معهما[65] إلا الهواء والأرض. فلم يكن في طبع واحد من هؤلاء الأربعة من التفصيل شيء[66] ولا للتقليب عن طبيعتها إلى[67] هذه العجائب والتصاريف المختلفة شيء[68] ونُظر إلى الماء والنار والأرض والهواء فإذا هي أضداد لا تأتلف من قبل أنفسها فوجب مؤلف بين هذه الأضداد يردّها عن اختلافها الذي هو طبعها إلى الائتلاف الذي هو خلاف ذاتها. ووجب مقسم لهذا الغذاء في طبائعها ووجب مفصل لهذا الغذاء محيل لهذه الضروب على أطوارها فوجب أن المؤلف لهذه الأضداد المتنافرة والمسلك لهذا الغذاء في هذه الجهات المختلفة والمحيل[69] له إلى هذه الأنواع المتشتتة [181] ليس بذي ضرورة ولا طبيعة[70] محصورة كهذه الطبوعات لأن الطبيعة المحصورة الواحدة لا يحيى[71] منها إلا فصل واحد وحركة واحدة

[57] ك: عن.
[58] م: حَوّرٍ.
[59] ك: + ونواة.
[60] م / ط / ك: ونبات.
[61] م: ونَواة.
[62] ط / ك: الأرابيح. ك: + [الأرياح].
[63] [4 :13].
[64] م: وليس.
[65] ط: معها.
[66] م / ط: شيئا.
[67] م: عن طبيعِه إلى. ط: عن طبيعة.
[68] ك: - ولا للتقليب عن طبيعة هذه العجائب والتصاريف المختلفة شيء.
[69] ك: المحيل (- و).
[70] م: طينه.
[71] ك: يحيا.

ولون واحد لأن الطبيعة المحصورة لها من غيرها حاصر وعليها من نفسها دليل الفقر والمملكة.

فنظر إلى الماء فانتفى عن هذه الصفة ونظر إلى الأرض وانتفت منها ونظر إلى النار فانتفت منها وإلى الهواء فانتفى فاضطره[72] النظر إلى أن يجاوز بفكره هذه الأشياء طالبا لهذا الذي[73] أوجب في شهادة[74] الفطرة سواها وأن يفر عنها ببصر[75] قلبه إلى ما وراءها إذ وجب أن يكون المؤلف لها في اختلافها المصرف لها عن طبائعها فوقها ومحيطا بها وأعلى منها وأ كبر. فارتقت الهمة الباحثة إلى السماء الأولى فقال:"لعلّ هذا منتهى هذه الطبائع الأربع" [76]. فإذا هو فوق السماء سماء وفوق السماء سماء دلت عليها الأفلاك المسخرة بما فيها من الشمس والقمر والنجوم إلى سبعة أفلاك ظاهرة للعيان.

فلما اعتبرها فإذا هي أشخاص ذات أشكال وجهات مختلفة وألوان مختلفة ذات أجزاء ونهايات وحركات[77] مزمومة مسخرة لا تصرف فيها ولا تعدو[78] طرائقها[79] مشاكلة لما [182] بدأ به الاعتبار من نبات الأرض قد لزمها من التأليف[80] والضرورات والتسخير ما لزم ما تحتها سواء. فوجب لشهادة الفطرة[81] أن المدبر[82] لها فوقها ومحيط[83] بها.

فلما جال في أسفل العالم يطلب الدليل على ما فوق ذلك وجد في الأسفل شيئا خامسا هو أشرف من هذه الأربعة وأرفع وهي[84] الروح الحيوانية المتصرفة ذات السمع والبصر والحركة والفهم.

[72] ك: فاضطر.
[73] ك: طالبا لما (وهذا صحيح).
[74] م: أوجب لي (في؟) شهادته. ط: أوجب في شهادته.
[75] م: وان فرّ منى ببصر. ط: وأن يفر ببصر. ك: وأن يفر ببصره.
[76] م: الاربعه.
[77] ك: وحركة.
[78] م: تعدوا.
[79] ط: طرائفها.
[80] ك: التأفيف.
[81] م: [ا] لشهادة الفطرة. ط / ك: الشهادة بالفطرة.
[82] م: المدير.
[83] م / ط: ومحيطا.

فقال: ''هذه النفس الروحانية الشريفة التي أرى[85] سائر الأشياء تبعا لها وأرى[86] كل شيء دونها في الفهم والتصرف هي المحيطة بجسم هذا العالم فوق السماء السابعة حاملة لها بحركتها كما حملت هذا الجسم الحيواني ونقلته وأحاطت بظاهره وباطنه''.

فقال: ''هذا فلك محيط فلك النفس عالم النفس''. فوجد مكان الكرسي و[هو] مكان الروح قائما محيطا موجودا لحس الفطرة فوق السماء السابعة ولا يمكن أن تكون هذه السموات السبع بثقلها وعظم أجرامها حاملة نفسها ولا يمكن أن يكون حاملها إلا أعظم منها إحاطةً وأوسع سعة وأعلى علواً ولا يمكن في شهادة القلوب أن تكون هذه النفس العظيمة والروح المحيطة الكبرى تحت هذه الأشياء [183] الأرضية الموات.

قال -عز وجل-: (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب)[87]. يرجع[88] الناظر ببصره فإذا هذه النفس الروحانية التي هي أشرف من هذه القوى الأربع[89] الطبيعية قد لزمها نحو ما لزم هذه الطبائع المؤلفة التي هي مجزأة في الحيوان مفصلة موقوفة على حدود لا تعدوها محصورة في نهاية لا تجاوزها مزمومة بزمام التسخير والعبودية والذلة موسومة بسمة العجز قد جعل[90] لها قوة لا تجاوزها عاجزة عما وراءها. وإذا بالآفات تأخذها من حيث[91] لا تعلم ولا تمتنع فهي تنام وتذهل وتألم وتسأم[92] وتُسَرّ وتحزن وهي مع ذلك تنشؤ[93] من صغر إلى كبر وترجع من شبيبة إلى هرم فيأخذها النقص والزيادة والقلة والكثرة وسائر الأعلام الدالة على المملكة والعبودية.

فلما وجب على هذه النفس المفصّلة من النفس الكبرى ذلك وجب أن ذلك

[84] ك: وهو.
[85] ك: رأى.
[86] ك: ورأى.
[87] [67: 4].
[88] م: يرجع (فرجع؟). ك: برجع.
[89] م: الاربعه.
[90] ك: تجعل.
[91] ك: حين.
[92] ك: - وتسأم.
[93] ط: مع ذلك فهي تنشو. ك: مع ذلك تلهو وتنشؤ.

لاحق بالنفس الكبرى لأن ما لحق جزء الشيء فهو لاحق[94] لأصل الشيء حكم واحد ضرورة فلزم ذلك النفس الكبرى من التسخير والتذلل[95] والعجز ما لزم ما تحتها ولزمها انحصار[96] الغاية والحد فطابقها المحدود[97] وحملها إياه ووجد على هذه النفس مع [184] تصرفها زماما[98] لم يهمل[99] عنها مع فضلها[100] على ما لا يتصرف[101] تصرفها قد جعل لتصرفها غايات إذا انتهت إليها أقرّت بالعجز ورجعت حاسرة[102] مقرة وأتتها خواطرها ونواياها من قبل غيرها ووجدت آثار التسخير والملك تنتهي[103] فيها فعُلم أن فوقها غيرها وابتُغي لذلك الغير[104] أثر[105] في السفلي يُستَدل به فوجد[106] هذه النفس إنما ذاتها الحركة والانقياد للعقل فإنها مأمورة ووُجِدت قائمة الحركة والحياة دون أن تكون ذات عقل فتكون حينئذ مسلوبة الاختيار والتصريف وهي قائمة الحركة والحياة.

فعُلم أنها والعقل سيّان[107] وأن الحركة والحياة من ذاتها وأن العقل مركب فيها من فوقها هو يملكها ويصرفها ويغلب[108] حركاتها ويزن[109] لها إرادتها ويحملها على اختياره دون اختيارها فوجب أنه أعلى منها وأعظم وأشرف.

[94] ط / ك: - بالنفس الكبرى لأن ما لحق جزء الشيء فهو لاحق.
[95] ط / ك: والتذليل.
[96] ك: وانحصار.
[97] م: والحد يطايفتها للمَحدُود (يطابقها للمَحدُود؟). ط: والحد بطايفتها (طاقاتها) المحدودة. ك: وألحد طاقاتها المحدودة.
[98] ولعل الصحيح هذا:"ووجب على هذه النفس مع تصرفها زمام...".
[99] م: يهمل.
[100] ط / ك: فصلها.
[101] م: يتصرف. ط/ ك: تتصرف (وهذا أيضا ممكن).
[102] م: خاسرة؟ (نقطة الخاء غير واضحة). ط: خاسرة. ك: حاسرت.
[103] م: ينتَهِ. ط: ينبه. ك: بينة.
[104] ك: - الغير.
[105] م / ط: أثراً. ولعل الصحيح هذا:"ووجد آثار التسخير... فعلم ... وابتغى... أثراً" .
[106] م: تُوجَد.
[107] ك: شيآن. م: سيِّان.
[108] م: ويعلب. ط/ ك: ويقلب (وهذا ممكن أيضا).
[109] م: ويرن.

فوجب بحس الفطرة قوة محيطة بالنفس الكبرى مطابقة لها[110] هي أعلى منها وأشرف من قبلها بتفضل التدبير والتعديل فيها وفي العالم المحمول عليها. وعنها يكون الفهم والعلم والبصائر والبرهان كله. فقالوا[111]:"هذا فلك العقل عالم العقل". فوجدوا مكان العرش [185] وموضع المقادير العلى والمشيئة الكبرى. (فسبحان الله...) (رب العرش العظيم)[112].

ثم نظر الباحث فأحكم النظر فإذا العقل مطابق لهذه النفس الحيوانية محصور[113] معها قد أخذته[114] حدودها وزمامها[115] وإذا هو مع شرفه وفضله موقوف على نهاية يَعجِز[116] عما وراءها وإذا به ينشأ[117] مع النفس فيزيد وينقص ويصفو[118] ويكدر وإذا الآفات تأخذه والخواطر تقع به من[119] غير ذاته ومن حيث لا يعلم. فإذا علامات العجز والتذليل والمملكة كلها[120] قائمة فيه بينة عليه وإذا فوقه مدبر قد جعل له قدرا وغاية وحدا وأطلق عليه الخير والشر والخاطر والعارض من حيث لا يعلم فوجب ضرورة لازمة أن فوقه مالكا له ولجميع ما تحته إذ جميع ما تحته دونه[121].

فنظر[122] في ذلك المالك الأعلى: أمحدود هو كما [أن][123] جميع ما تحته محدود يُعلَم[124] بحدوده مطابقا للعقل[125] كما[126] طابق العقل النفس وكما طابقت

[110] ك: + و.
[111] ك: فقال.
[112] انظر [22 :21]. ثم انظر [129 :9].
[113] م: محصوره.
[114] ط / ك: أخذت.
[115] ك: وزمانه.
[116] م: يعجز.
[117] م: يَنْشُوا.
[118] م: ويصفوا.
[119] ك: - من.
[120] ك: - كلها.
[121] بعد هذه النقطة تغير النسخة "ك" ترتيب أجزاء النص فتأخر الجزء التالي إلى صفحة أخرى. انظر على الهامش رقم 160.
[122] م: فييطر.
[123] ط / ك: + أن.
[124] م: يعلم. ط / ك: بعلم.
[125] م: مطابقا للعلم. ط/ ك: مطالباً للعلم.

النفس الجسم؟ بل وجدوه[127] بآثاره وآياته النازلة على العقل وعلى ما تحته نزولا لا يمتنع منها شيء ولم[128] يجدوه مباشراً[129] لشيء إذ لم يكن[130] فوق العقل شيء يباشره أو يطابقه في حس الفطرة.

فلما ارتفع[131] [186] المتعالي الأكبر عن مباشرة المحدود ارتفع[132] عن شبه[133] المحدود وعن مثال المحدود ووجبت له إحاطة فوق كل إحاطة وعلو فوق كل علو. فخرج بذلك عن الأوهام إذ الأوهام هي العقول الممثلة للأشياء المتمثلة للأمثلة. فالعقول محدودة فما كان فوق المحدود محيطا[134] به عاليا عليه محتويا له فلا يمكن أن يكون المحدود يحتويه ولا يحيط به. ليأتلف[135] القول والحق ولا يختلف[136].

فوجب من ذلك أن المتعالي لا مثال له ولا نهاية له ولا بدء[137] له ولا جزاء له ولا غاية له فلا دخل في وحدانيته وعظمته فتعالى الملك الأعلى وارتفع عن الجنس كله[138] إلا بالبراهين الدالة عليه والآثار التي رسمها في بريته شاهدة له بربوبيته.

فقام الوجود به اضطرارا في حس العقل مع عدم المثال والجنس وشهد النظر عن البحث أن ليس في العالم شيء يقوم بنفسه إلا بغيره ويتبين[139] أن

[126] ك: + كما.
[127] م: النفس الجسم يل وحدوه يل وجدوه. ط / ك: النفس (أو أن حدوده) [كذا].
[128] ط: فلم.
[129] ك: - النازلة على العقل وعلى ما تحته نزولا لا يمتنع منها شيء ولم يجدوه مباشراً.
[130] ك: إذا لم يمكن.
[131] م: ارتبع.
[132] ط/ ك: وارتفع. م: ارتفع (وعلى الكلمة خط).
[133] م: ارتفع عن عن شيه. ط/ ك: ارتفع عن عرش.
[134] م / ط/ ك: مطابقا.
[135] م: ليختلِفَ. ط: ليختلف.
[136] م: ولا يحتلِف. ك: ولا نختلف. يعني: ولا يختلفان. ويمكن أيضا أن نقرأ الجملة هكذا: "ليختلف القول والحق لا يختلف".
[137] ك: يد.
[138] ك: له.
[139] ط / ك: وتبين.

ذلك الغير[140] لو كان مثل الأشياء التي لا تقوم بأنفسها لم يقم هو أيضا بنفسه فوجب من كل بحث وكل جهة وجوب اضطرار[141] الشيء لا محالة عنه[142] ولا مخرج لذي عقل منه ربا ملكا أولا[143] مبتدعا لهذا العالم [187] (ليس كمثله شيء)[144] ولا يشاكله[145] مما خلق شيء قد باين كل ما[146] خلق بالذات والحال وهو مع كل شيء بالأزمنة والعلم والظهور أفقر الأشياء كلها إليه إذ كل أثر من تصريف وتأليف معلق بعضه ببعض قائم بعضه ببعض[147] الأسفل بما فوقه منزلة منزلة[148] حتى ينتهي إلى الأعلى الذي هو الحق الأقصى[149].

فتجد[150] تفصيله وتقليبه وتأليفه أثرا من غيره ليس من ذاته وتحدّيه[151] من العقل[152] إلى ما فوقه[153] مثل ما وجدت[154] ما تحته من الفقر إليه.

فحينئذ وجدت ربك وخالقك فلقيته بنفسك وأبصرته ببصيرتك[155] وطالعت ساحة قربه بترقيك[156] إليه من السبيل الذي فُتح[157] لك نحوه فأراك ملكوته[158] كله مزموما بزمامه محصورا[159] في إحاطته مرتبا بتقديره متصرفا بتدبيره

[140] ك: + الغير.
[141] ك: اصطرار.
[142] ط: الشيء لأفعاله عنه. ك: لشيء لأفعاله عنه.
[143] ك: - أولا.
[144] [42: 11].
[145] ط/ ك: يشاركه.
[146] م: كلما.
[147] ط: - ببعض قائم بعضه ببعض. ك: - ببعض قائم بعضه ببعض (+ بعضه).
[148] ط/ ك: - منزلة.
[149] ط: الأفصى.
[150] م: فيجد. ط/ ك: فيجد.
[151] ط/ ك: ويجد به.
[152] م/ ط/ ك: العقول.
[153] ط/ ك: - إلى ما فوقه.
[154] ط: جدت (- و).
[155] ك: - ببصيرتك.
[156] ك: بترقبك.
[157] ك: قتح.
[158] ك: ملوكته.
[159] ط / ك: ومحصورا.

قائما على نهاياته مضطرا[160] إلى إرادته ومشيئته لا حاكم فيه غيره ولا مسلك فيه لشيء دون إذنه سبحانه[161] الواحد الخالق المحيط المقيم على جميع ما خلق الذي (يُمسِك السموات والأرض أن تزولا)[162] الفعّال لما يشاء[163] وتعالى علوا كبيرا.

فهذا مثال من استدلال الاعتبار وهو الذي دار عليه وابتغاه المتنطعون [188] المسمون بالفلاسفة بغير نية مستقيمة فأخطأوه[164] وفُصِلوا عنه فتاهوا في الترهات التي لا نور فيها. وإنما رأوا[165] أصل ذلك شيئا سمعوه[166] أو وجدوا رسمه أثارةً[167] من نبوة إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- في اعتبار خلائق الملكوت للدلالة على بارئه. فأرادوا تلك السبيل بغير نية فأخطأوها.

وجاءت الأنبياء -صلوات الله عليهم- فقالوا:

"إن (ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم)[168] واحد حق لا شريك له (ليس كمثله شيء)[169] وهو أعظم من كل شيء وهو المحيط بكل شيء[170] لا تأخذه الأقطار ولا تحيط به[171] و(لا تدركه الأبصار[172]) لأنه لا نهاية له ولا غاية[173] وهو الأول قبل كل ذي غاية وذي نهاية وكل شيء دونه محدث محدود مفصّل بذلك.

فأول ما خلق العرش والماء[174] وكتب في عرشه جميع مقاديره وقضاياه

[160] م: مفطراً.
[161] هنا ينتهي الجزء الذي أخّره "ك". انظر على الهامش رقم 121.
[162] [41 :35].
[163] إشارة إلى [107 :11].
[164] م: فأخطؤه.
[165] م: راى.
[166] ك: سموه.
[167] ط: أو جدوا رسمه إثارة.
[168] [21 :2].
[169] [42: 11].
[170] ك: - وهو المحيط بكل شيء.
[171] م: يحيط (- به).
[172] [103 :6].
[173] ط / ك: بداية.
[174] إشارة إلى [7 :11].

وما تجري عليه إرادته. فليس في العالم إرادة لغيره ولا شيء إلا بإذنه. وعرشه محيط بالأشياء كلها عال فوقها زام لها. وتحت ذلك كرسيه الذي وسع[175] السموات والأرض وهو حافظهما وقيمهما دون كلفة أو مباشرة.

وإنه استوى فعلا فوق العرش[176] وهو أقرب[177] [189] إلى كل شيء من نفسه مع تعاليه وتقدسه وإنه خلق هذه السموات السبع تحت عرشه (في ستة أيام)[178] (وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)[179] ونجوما سابحة في أفلاكها[180] مسخرة[181] على تقدير لها بوزن[182] موزون لا يسبق[183] شيء منها شيئا.

وإنه (خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض[184] ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)[185].

وإنه جعل كل شيء خلقه في سمواته وأرضه آيات دالة عليه شواهد بربوبيته وعظمته وحكمته[186] وعدله ورحمته وأسمائه الحسنى.

من فكر واعتبر منيبا إلى ربه أبصر[187] ذلك في نفسه وفي كل شيء في هذا العالم[188] معه وأن كل شيء فقير إليه مضطر إلى ما عنده وهو قيمه وممسكه لولا هو[189] هلك وبطل وهُيّر[190]".

ثم قصّوا وتابعوا[191] وشعّبوا[192] وبينوا من سائر صفاته[193] وأسمائه

[175] إشارة إلى [2: 255].
[176] إشارة إلى [59 :25] و[5 :20].
[177] إشارة إلى [16 :50] و[85 :56].
[178] [54 :7]، [3 :10]، [7 :11]، [59 :25]، [4 :32]، [38 :50]، [4 :57].
[179] [61 :25].
[180] إشارة إلى [33 :21] و[40 :36].
[181] إشارة إلى [54 :7] و[12 :16].
[182] ك: - بوزن.
[183] إشارة إلى [40 :36].
[184] ط / ك: والأرض.
[185] [36: 36].
[186] ط / ك: - وحكمته.
[187] ط / ك: وأبصر.
[188] إشارة إلى [53 :41].
[189] ك: لولاه.
[190] ط / ك: - وهير.
[191] ويابعوا.

الحسنى[194] ما اتصل بالاعتبار كاتصال ما قبله وشهدت بجميعه الآيات ونطقت به يشهد بعض ذلك بعضه ويدلها أوله على آخره وآخره على أوله ويعضد ظاهره باطنه وباطنه[195] ظاهره.

كلما ازداد المعتبر نظرا ازداد بصرا وكلما ازداد بصرا ازداد تصديقا وتوفيقا ويقينا واستبصارا. فجاء خبر النبوة مبتدئا من جهة العرش نازلا إلى الأرض فوافق [190] الاعتبار الصاعد من جهة الأرض إلى العرش سواء بسواء[196] لا فرق.

لم[197] يأت نبأ عن الله بينا إلا وفي العالم آية دالة على ذلك النبإ. وليس في العالم آية دالة على نبإ إلا والنبوة قد نبأت به ونبهت عليه إما تفصيلا وإما مجملا.

فلما اتفق البرهان فتصادق[198] النبأ الموصوف[199] بالأثر المعصوم[200] لزم العقل ضرورةً الإقرار [بأن النبوة][201] حاصرة له محيطة به عالية عليه.

إن عمد[202] عنها ورام الخروج عن حوزتها خرج عن الكنف كله فلم يكن له مأوى إلا النار السفلى[203] لانقطاعه عن ولاية الله. وإن تمسّك بها وترقى[204] في أسبابها اقترب من الله المعين والمُسْتَزاد[205] من ولايته قدما حتى يتجلى على القدمين ويتَبوّأ[206] [كذا] في جوار الله تعالى الذي كنف فيه[207] أولياءه

[192] ط / ك: وشبعوا.
[193] م / ط / ك: + الحسنى.
[194] ك: - الحسنى.
[195] ط / ك: - باطنه.
[196] م: سواء.
[197] ط / ك: + و.
[198] ط: وتصادق. ك: وتصدق.
[199] م: والموصوف.
[200] ط / ك: المفهوم.
[201] ط / ك: + (بأن هذه القوة).
[202] م: عمل(؟). ط / ك: عمى.
[203] م: السَبْكى (= الشَبْكى؟). ك: السفلاى.
[204] م: وتوقى.
[205] ط / ك: واستزاد.
[206] ط: ويثبتوا. ك: ويشبتوا.

المنتظرين[208] إلى كنفه بابتغاء معرفته وعلت بهم الهمم العالية السامية إلى جوار ربهم والساكنة إلى الأمر المعقود لهم بوعد (الصدق الذي كانوا يوعدون)[209].

فبؤسا للغافلين (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري)[210].

(ذلك[211] فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[212].

تمت رسالة الاعتبار[213]

بحمد الله ومنّه وصلواته

.

[207] ك: + أوليا.
[208] م: المنطرين. ط / ك: الناظرين.
[209] [46: 16].
[210] [18: 101].
[211] ك: وذلك.
[212] [57: 21].
[213] ك: اعتبار.